الرسالة

(١كورنثوس ٨: ٨–١٣؛ ٩: ١–٣)

يا إخوةُ إنَّ الطعامَ لا يُقرِّبُنا إلى الله لأنَّا إن أكلنا لا نـزيدُ وإن لم نـأكُـل لا ننقُصُ* ولكن انظُروا أن لا يكونَ سلطانُكم هذا معثَرَةً للضعفاءِ* لأنَّه إن رآكَ أحدٌ يا مَن له العلمُ متَّكِئاً في بيتِ الأوثانِ أفلا يتقوَّى ضميُره وهو ضعيفٌ على أكلِ ذبائحِ الأوثان* فيهلِكَ بسبَبِ عِلمِكَ الأخُ الضعيفُ الذي ماتَ المسيحُ لأجله* وهكذا إذ تُخطِئون إلى الإخوةِ وتجرَحون ضمائرَهم وهي ضعيفةٌ إنَّما تُخطئون إلى المسيح* فلذلك إن كان الطعامُ يُشكِّكُ أخي فلا آكُلُ لحماً إلى الأبدِ لئلاَّ أُشكِّكَ أخي* ألستُ أنا رسولًا. ألستُ أنا حرًّا. أمَا رأيتُ يسوعَ المسيحَ ربَّنا. ألستُم أنتم عملي في الربّ*

أحد الدينونة

في هذا الأحد تتابع الكنيسة تهيئتنا في رحلة الصوم الكبير نحو الفصح المقدس. فبعد أن تعلّمنا في الأحدين السابقين ان التواضع والتوبة هما الفضيلتان الروحيتان اللتان يجب أن يتحلى بهما المؤمن خلال فترة الصوم وفي كل أيام حياته، تعلِّمنا الكنيسة اليوم عن الجانب العملي للتوبة والتواضع في حياة المؤمن وهو الأساس الذي ترتكز عليه الدينونة. كيف؟

عندما أتى اليهود إلى يوحنا المعمدان الذي كان يهيء الطريق للرب يسوع قال لهم: «توبوا لأنَّه قد اقترب ملكوت السموات» (مت ٣: ٢). الملكوت أتى به الرب يسوع إذ فتح أبوابه عندما صُلب وقام من بين الأموات. وفي دعوته إياهم للتوبة قال لهم يوحنا: «اصنعوا سُبله مستقيمة، اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة» (مت ٣: ٣ و٨)، والأثمار هي أعمال الإنسان. إذاً التوبة تترافق مع الأعمال الحسنة اللائقة لكي تكون مثمرة في الملكوت. من هنا قول الرسول يعقوب: «الإيمان بدون أعمال ميتٌ» (٢: ٢٠). من هذا الكلام نفهم أن التوبة التي هي مدخل الملكوت يجب أن تكون مترجمة بالأعمال الحسنة. في هذا السياق أيضاً يأتي كلام الرب يسوع في نهاية العظة على الجبل (متى ٥ و٦ و٧) التي يضع فيها أُسس حياة المسيحي المؤمن: «مِن ثمارهم تعرفونهم... كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتُلقى في النار... ليس كل مَنْ يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات» (متى ٧: ١٦–٢٧). وإرادة الآب كما يقول الرسول بولس «ان جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون» (١ تيمو ٢: ٤). الرب يريد خلاص الجميع وخلاص الجميع هو في الإيمان المترجم أعمالاً تليق بالتوبة.

قبيل انطلاقه إلى الآلام المقدسة شدّد الرب يسوع على ان الأعمال الحسنة هي شرط أساسي لدخول الملكوت. لما سأله تلاميذه «ما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟» (مت ٢٤: ٣)، أعطاهم العلامات التي تشير إلى قرب مجيئه. والأهم انه قال لهم في آخر حديثه: «اسهروا إذ انكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربّكم»

العدد ٨ / ٢٠١٧

الأحد ١٩ شباط

أحد مرفع اللحم (الدينونة)

تذكار الرسول أرشيبوس

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثاني

(مت ٢٤: ٤٢. السهر يعني الإستعداد. كيف يكون الإستعداد؟ الجواب أيضاً من الرب يسوع مباشرة في ثلاثة أمثلة عن الملكوت: مَثَل العذارى العاقلات، مَثَل الوزنات، وإنجيل الدينونة الذي يُقرأ في هذا الأحد (مت ٢٥).

في المَثَل الأول حديث عن عشر عذارى، خمس جاهلات وخمس عاقلات. العاقلات كنَّ مستعدات كونهنّ يحملن معهن زيت أعمال الرحمة التي كنَّ يقمنَّ بها. وفي المَثَل الثاني حديث عن الوزنات – المواهب التي يمنحها الله للبشر والتي يجب أن يثمِّروها أعمالاً. ثم يأتي المَثَل الثالث (مت ٢٥: ٣١–٤٦) الذي يصف فيه الرب الأُسس التي سوف تقوم عليها الدينونة في اليوم الأخير. بشكل بسيط، الدينونة سوف تكون على أساس أعمال الرحمة مع أخوتنا في البشرية الذين خُلقوا هم أيضاً على صورة الله ومثاله. الرب يماهي نفسه بكل مهمش ومستضعف وفقير ومريض ومحتاج لا إلى المادة فقط بل إلى الشعور بمحبة مَن هم حوله (وكم من غني بأمواله محتاج إلى محبةٍ تلمس قلبه؟). يقول الرب: «الحق أقول لكم بما انكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموه» (مت ٢٥: ٤٠). بالنسبة للرب يسوع زيت الرحمة والوزنات أن تطعم الجائع، وتسقي العطشان وتكسي العريان وتزور المريض والمحبوس وتأوي الغريب. هذه الأمثلة الثلاثة تُعاد قراءتها في بداية الأسبوع العظيم. يقول الإنجيلي متى «لما أكمل يسوع هذه الأقوال كلّها قال لتلاميذه: تعلمون انه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يسلَّم ليُصلب» (متى ٢٦: ١).

يكتب أحد اللاهوتيين المعاصرين: «ان هدف كل صلاة وصوم، كل الليتورجيا والأسرار، وكل الممارسات الروحية والنسكية، هو الوصول إلى معرفة الله ومحبته من خلال كل إنسان، وبشكل خاص «الأخوة الصغار». هذا هو هدف موسم الصيام والحياة كلها. إنه السر الأكبر والحقيقة الأعمق: أن يُرى الله ويُعرَف ويُحَب في كل إنسان. الإبن الوحيد للآب أتى إلى الأرض في شكل إنسان لكي يجمع في نفسه كل ما في السموات وما على الأرض (أف ١: ١٠). أتى ليماهي نفسه مع كل إنسن، خاصة الخطأة والمستضعفين والمهمَّشين (وهذا قمة التواضع)، فإنه وهو إلهنا وخالقنا صار أخاً لنا: «أخلى نفسه آخذاً صورة عبدٍ» (في ٢: ٧). هكذا فيه نلتقي كل واحد، وفي كل واحد نلتقي به».

قد يسأل أحدهم لماذا أضاف الرب صفة «الصغار» على عبارة «إخوتي»؟ لأن ربنا يعرف الإنسان جيداً؛ كل إنسان لديه مملكته الخاصة وله عالمه الخاص وأصدقاؤه، حتى ان لديه فقراءه المختارين. الفقراء الصغار غير موجودين بالنسبة له، لا يراهم. نحن نختار الفقراء الذين نريد أن نساعدهم. إنجيل هذا الأحد يعلّمنا ان ليس أحد صغيراً في عيني الرب. لنصنع رحمةً مع كل البشر دون تمييز كما علّمنا الرب، ومَن يعمل هكذا سوف «يُدعى عظيماً في ملكوت السموات» (مت ٥: ١٩).

أحد مرفع اللحم

غالبًا ما يضيّع الإنسانُ هدف حياته، ويستعيض عنه بالوسائل الضروريّة للوصول إليه، فتصير الوسائل هي الهدف. لنا الطعام وإن لم أكُنْ رسولًا إلى آخرينَ فإنّي رسولٌ إليكم. لأنَّ خاتَمَ رسالتي هو أنتم في الربّ.

الإنجيل

(متى ٢٥: ٣١–٤٦)

قال الربُّ متى جاءَ ابنُ البشرِ في مجدِه وجميعُ الملائكةِ القديسين معه فحينئذٍ يجلسُ على عرشِ مجدِه* وتُجمَعُ إليهِ كلُّ الأُممِ فيميّزُ بعضَهم من بعضٍ كما يميّزُ الراعي الخرافَ من الجداءِ* ويُقيم الخرافَ عن يمينِه والجداءَ عن يسارِه* حينئذٍ يقولُ المَلِكُ للذينَ عن يمينِه تعالَوْا يا مبارَكي أبي رِثوا الملكَ المُعَدَّ لكم منذ إنشاءِ العالَم* لأنّي جُعتُ فأطعمتموني وعطِشتُ فسقيتموني وكنتُ غريباً فآويتموني* وعُرياناً فكسَوتموني ومريضاً فعُدْتُموني ومحبوساً فأتيتم إليَّ* حينئذٍ يُجيبه الصِدّيقون قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً فأطعَمناك أو عطشانَ فسقيناك*

ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عُرياناً فكسوناك* ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك* فيُجيبُ الملكُ ويقولُ لهم: الحقَّ أقول لكم بما أنَّكم فعَلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاءِ الصغارِ فبي فعلتموهُ* حينئذٍ يقول أيضاً للذين عن يساره إذهبوا عنّي يا ملاعينُ إلى النارِ الأبديَّةِ المُعَدَّةِ لإبليسَ وملائِكَتِه* لأنّي جُعتُ فلم تُطعِموني وعطِشتُ فلم تَسقوني* وكنتُ غريباً فلم تُؤووني وعُرياناً فلم تَكسوني ومريضاً ومحبوساً فلم تَزوروني* حينئذٍ يُجيبونهُ هم أيضاً قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً أو عطشانَ أو غريباً أو عُرياناً أو مريضاً أو محبوساً ولم نَخْدِمْكَ* حينئذٍ يُجيبُهم قائلاً الحقَّ أقولُ لكم بما أنَّكم لم تفعلوا ذلك بأحدِ هؤلاءِ الصغار فبي لم تفعلوه* فيذهبُ هؤلاءِ إلى العذابِ الأبدي والصِدّيقونَ إلى الحياةِ الأبديَّة.

والمال وغيرهما أمثلة على ذلك. ففي حين يكون الطعام وسيلة الإنسان للبقاء على قيد الحياة، يحوّله الإنسان إلى هدف حياته، فيسعى جاهدًا للحصول عليه وحفظه كي لا يفقده. كذلك المال الذي هو الآن وسيلة أساسيّة في حياتنا لنستطيع تأمين الحاجات اللاّزمة لنا، يصير هدف الإنسان، لا بل يصير إلهه، لأنّ المال حينذاك يفرض سيطرته على الإنسان الذي يعتبره مصدر حياته، من دون الله. ليست هذه طبعًا حال الإنسان عمومًا، لكنّه معرّض للوقوع في هذه الفخ. هذا الأمر ينطبق على حياتنا المسيحيّة، حين نحوّل الصوم والصلاة ومعرفتنا اللاهوتيّة (التي هي وسائل ليبقى ذهن الإنسان وجسده في حضرة الله الذي يدعونا إلى التوجّه نحو القريب المحتاج) إلى هدف حياتنا، فنركّز نظرنا على أنفسنا مهملين الآخرين، لا بل في الكثير من الأحيان نصير لهم ديّانين.

بما أنّ الكنيسة المقدّسة تعي تمامًا حالة الإنسان، فإنّها تذكّره كلّ سنة، وقبل البدء بالصوم الكبير، بأنّ الهدف هو تطبيق وصايا الله التي تُختصر بالمحبّة، محبّة الله ومحبّة القريب كالنفس. من هنا وضعت لنا الكنيسة اليوم مَثَل الدينونة الذي يعلّمنا الربّ من خلاله أنّه موجود في كلّ أخٍ محتاج، وللوصول إليه علينا المرور بهذا المحتاج. لقد كان الربّ واضحًا وقاسيًا، لأنّ من لا يعمل وصايا الله مصيره العذاب الأبديّ. من ناحية أخرى، وضعت لنا الكنيسة المقدّسة أيضًا فصلاً من رسالة القدّيس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، التي يتكلّم فيها على استعمال الإنسان لحرّيته في المسيح، وكيف يتصرّف في موضوع الطعام.

لا بدّ أوّلاً من الإشارة إلى خلفيّة موضوع هذا الفصل من الرسالة. الرسول يتكلّم على تصرّف بعض المؤمنين من كنيسة كورنثوس في ما يتعلّق بالأوثان. بالنسبة للمؤمن ليس إله إلّا الله وحده، والأوثان ليست آلهة بل هي من اختراع البشر. كان يُقام ما يُشبه المطاعم إلى جانب هياكل الأوثان، حيث كانت تُباع لحوم الذبائح وتُقدّم أحيانًا مأكلًا لطالبها. لذلك إنّ المؤمن العالِم ان الأوثان ليست آلهة لم يكن يتردّد في الذهاب إلى تلك الأماكن ليأكل فيها أو ليشتري اللحم. غير أنّ هذا الأمر كان يشكّك ضعاف النفوس، الذين لا يمكنهم التمييز، لأنّهم كانوا يؤمنون بوجود الأوثان. هياكلها وتماثيلها وكهنتها أمامهم في كلّ حين، وكانوا يظنّون أنّ أكل ذبائح الأوثان مسموحٌ به، وبالتالي فإنّه لا مانع من تقديم الذبائح أيضًا للأوثان. ويشير الرسول بولس إلى أنّه لا يمكن للإنسان المسيحيّ أن يسيء بتصرّفاته إلى الإخوة الآخرين، لأنه بهذا يسيء إلى المسيح نفسه، وهذا ما وجدناه في مثل الدينونة أيضًا: «لأنّه إن رآك أحدٌ يا من له العلم متّكئًا في بيت الأوثان أفلا يتقوّى ضميره وهو ضعيفٌ على أكل ذبائح الأوثان؟ فيهلك بسبب علمك الأخ الضعيف الذي مات المسيح لاجله. وهكذا إن تخطئون إلى الإخوة وتجرحون ضمائرهم وهي ضعيفة إنّما تخطئون إلى المسيح. فلذلك إن كان الطعام يشكّك أخي فلا آكل لحمًا إلى الأبد لئلّا أشكّك أخي» (١كور٨: ٩-١٣)؛ «يا ربّ متى رأيناك جائعًا فأطعمناك أو عطشانًا فسقيناك، ومتى رأيناك غريبًا فآويناك أو عريانًا فكسوناك، ومتى رأيناك مريضًا أو محبوسًا فأتينا إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم الحقّ أقول لكم بما أنّكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم ... الحقّ

أقول لكم بما أنّكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوه» (مت٢٥: ٣٧–٤٠ و٤٥).

يعلّمنا الرسول بولس أيضًا في غير موضع أنّ منطلق تصرّفنا هو البنيان، بنيان الآخر وبنيان الكنيسة، أي أن نعمل ونتكلّم بما يفيد الآخر ويفيد الجماعة، ويختصرها بقوله «المحبة لا تطلب ما لنفسها» (١كور١٣: ٥): «كلّ الأشياء تحلّ لي لكن ليس كلّ الأشياء توافق. كلّ الأشياء تحلّ لي ولكن ليس كلّ الأشياء تبني. لا يطلب أحدٌ ما هو لنفسه بل كلّ واحدٍ ما هو للآخر. كلّ ما يُباع في الملحمة كلوه غير فاحصين عن شيء من أجل الضمير، لأنّ للربّ الأرض وملأها. وإن كان أحدٌ من غير المؤمنين يدعوكم وتريدون أن تذهبوا فكلّ ما يُقدّم لكم كلوا منه غير فاحصين من أجل الضمير. ولكن إن قال لكم أحدٌ هذا مذبوحٌ لوثنٍ فلا تأكلوا من أجل ذاك الذي أعلمكم والضمير، لأنّ للربّ الأرض وملأها. أقول الضمير، ليس ضميرك أنت بل ضمير الآخر» (١كور١٠: ٢٣–٢٩)؛ «لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلّموا بالصدق كلّ واحدٍ مع قريبه، لأنّنا بعضنا أعضاء البعض. إغضبوا ولا تخطئوا. لا تغرب الشمس على غيظكم، ولا تعطوا إبليس مكانًا. لا يسرق السارق في ما بعد بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطي من له احتياج. لا تخرج كلمةٌ رديئة من أفواهكم بل كلّ ما كان صالحًا للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمةً للسامعين. ولا تُحزنوا روح الله القدّوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء. ليُرفع من بينكم كلّ مرارة وسخطٍ وغضبٍ وصياحٍ وتجديفٍ مع كلّ خبث. وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضًا في المسيح» (أف٤: ٢٥–٣٢).

من هنا فإنّ ما نحن مقدمون عليه، في هذا الموسم المبارك، من صوم وتكثيفٍ للصلوات، لا يمكن أن يصير الهدف في مسيرتنا الروحيّة. الهدف هو وجه المسيح الذي سوف نلتقيه يوم الفصح المبارك، يوم القيامة. لكنّ وجه المسيح هذا موجود في الآخرين. فإن كنّا سنصوم ونصلّي، فليكن انقطاعنا عن الأكل فرصةً لنتقاسم تلك المآكل التي انقطعنا عنها مع المحتاجين، ولتكن صلاتنا من أجل الآخرين أيضًا. هذا ما تعلّمنا إيّاه الكنيسة أيضًا من خلال الصلوات التي نتلوها في هذا الموسم المبارك. وما يلفتنا هو أنّه وبعد اقترابنا من انتهاء فترة الصوم الكبير، في الأحد الخامس منه، تعود الكنيسة وتذكّرنا بأن ملكوت الله ليس طعامًا وشرابًا بل عمل رحمة: «ليس ملكوت الله طعامًا وشرابًا، بل برًّا ونسكًا مع قداسة. لذلك لا يلجها الأغنياء، لكن كلّ الذين يخزنون كنوزهم في أيدي المساكين. فبهذا يعلّم داود النبيّ قائلًا إنّ الرجل البارّ هو الذي النهار كلّه يرحم. المتنعّم بالربّ والسالك في نوره لا يعثر. فهذا كلّه كُتب لوعظنا لكي نصوم ونصنع الصلاح فيمنحنا الربّ عوض الارضيّات السماويّات» (من صلاة سَحَر الأحد الخامس من الصوم).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

تأمل

عندما تنفصل النفس عن الجسد ويُبعث بها إلى عالمٍ آخر وحياةٍ أخرى، إنما تكون مصحوبةً بأعمالها الخاصة وحسب. فإن كانت أعمالها صالحةً موافِقةً لمشيئة الله، فرحت وسُرَّت وتذوّقت لذّة الخيرات سلفاً، سعيدةً بالرجاء، بعدما تلقّت وهي في الدنيا بواكير هذه الخيرات وعُربونَها، وبعد مثولها أمام الله وفرحِها مع ملائكته. وبالعكس، إن كانت أعمالها سيّئةً مفعَمةً بالجحود والخِزي، أمسك بها وخزُ الندم وكابدت جراحَ الضمير المؤلمة، وجراحَ اللذّة الرديئة المتلاشية، التي بقي منها النتانة والخِزي فحسب. ثم إنّ ملائكةً من العدوّ مظلمين مُرعبين يتسلّمونها ولا يُبيحون لها أن تكون حرّة، بل يقتادونها إلى زنزانةٍ مظلمةٍ تسمّى الجحيم، حيث تُحتجز مع مثيلاتها الأخريات منتظرةً حُكم الديّان والقضاء الأبديَّ بالعقوبات التي لا تنتهي.

القديس فوتيوس المعترف